محاضرة حول دراسة تحول بلوزيفي لـ ادغار موران

تمهيد:

قام إدغار موران في دراسته الميدانية بتحليل قرية ريفية فرنسية تدعى Plozévet شمال غرب فرنسا ، باعتبارها نموذجا لفهم دخول المجتمعات التقليدية في مسار الحداثة. هذه القرية لا تمثل المدن الفرنسية الحديثة، بل تعكس مجتمعا ريفيا يتميز بخصائص اجتماعية وثقافية تقليدية، مع تفاوت في مستويات التعليم والفئات الاجتماعية. وقد عرفت بوجود نشاط سياسي يساري (الـ حركة الحمراء) داخل سياق اجتماعي محافظ، ما جعلها مجالاً لتوتر بين الحداثة والتقليد. وقد اعتمد موران على هذه الحالة ليس كحالة معزولة، بل كنموذج سوسيولوجي لتحليل آليات التحول الاجتماعي في المجتمع الفرنسي المعاصر.

تعد دراسة المجتمع المحلي من أهم الاتجاهات في علم الاجتماع المعاصر، لأنها تسمح بفهم التغيرات الاجتماعية في سياقها الحقيقي بعيدا عن التعميمات النظرية.
وفي هذا الإطار، جاءت دراسة إدغار موران حول قرية **Plozévet** كأحد أهم الأعمال الميدانية التي حاولت فهم **تحول المجتمع الريفي الفرنسي في ظل الحداثة** خلال القرن العشرين.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل كيف يتفاعل مجتمع تقليدي مع التحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي فرضتها الحداثة بعد الحرب العالمية الثانية.

التعريف بالباحث ادغار موران:

إدغار موران (Edgar Morin) هو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ولد سنة 1921 في باريس. ينحدر من أصل يهودي، وقد تأثر مبكرا بفقدان والدته، وهو حدث ترك أثرا نفسيا وفكريا عميقا في شخصيته، حيث ساهم في توجيهه نحو البحث عن فهم أعمق للإنسان وتعقيداته.

درس موران في جامعة السوربون، وتكون في الفلسفة والتاريخ والجغرافيا والقانون، مما منحه تكوينا متعدد التخصصات. خلال الحرب العالمية الثانية، انخرط في المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال النازي، ثم التحق بعد الحرب بالحزب الشيوعي الفرنسي قبل أن يبتعد عنه لاحقًا بسبب نقده للفكر الأيديولوجي المغلق.

يعتبر موران من أبرز مفكري "الفكر المركب"، الذي يرفض التفسير الأحادي للظواهر الاجتماعية.

إشكالية الدراسة:

انطلقت دراسة إدغار موران حول قرية Plozévet من إشكالية أساسية تتمثل في فهم كيفية دخول مجتمع ريفي تقليدي في مسار الحداثة، مع ما يرافق ذلك من تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية، وفي الوقت نفسه استمرار حضور البنية التقليدية داخل نفس المجتمع، مما يطرح إشكالية التفاعل المعقد بين التقليد والحداثة بدل القطيعة الكاملة بينهما.

مكان وزمن الدراسة:

أُجريت دراسة إدغار موران في قرية Plozévet الواقعة في شمال غرب فرنسا بمنطقة بريتاني، وهي قرية ريفية ذات طابع زراعي تقليدي تتكون من مركز قروي وعدة تجمعات سكنية صغيرة. وقد تميزت هذه المنطقة بنمط عيش بسيط قائم على النشاط الزراعي، قبل أن تعرف تحولات تدريجية نتيجة دخول مظاهر الحداثة، خاصة التحديث الزراعي والتغيرات الاجتماعية والسياسية. وقد أنجزت هذه الدراسة خلال منتصف ستينيات القرن العشرين ونشرت سنة 1967، بهدف فهم دينامية التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث داخل السياق الريفي الفرنسي.

تقنيات الدراسة:

اعتمد إدغار موران في دراسته لقرية Plozévet على منهج ميداني نوعي، تمثل في الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة داخل الوسط المدروس، حيث عاش لفترة داخل القرية وراقب الحياة اليومية للسكان. كما أجرى مقابلات شبه موجهة مع مختلف الفئات الاجتماعية، بما في ذلك الشباب والفلاحين والنخب المحلية، بهدف فهم التصورات الاجتماعية والتحولات التي عرفها المجتمع في سياق دخوله في مسار الحداثة

مفاهيم الدراسة:

- **التحديث الزراعي:**

هو مجموعة التحولات التي تطال النشاط الفلاحي بهدف رفع الإنتاجية وتحسين أساليب الإنتاج، من خلال إدخال التقنيات الحديثة والآلات الزراعية، واستعمال الأسمدة والبذور المحسنة، وتطوير طرق الاستغلال الزراعي بدل الأساليب التقليدية.

- **الحداثة:**

هي مجموعة التحولات العميقة التي تمس المجتمع على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وتتميز بانتشار العقلانية، وتطور العلم والتكنولوجيا، وتغير القيم الاجتماعية، وبروز الفردانية، وتراجع البنى التقليدية.

- **العلمانية اليسارية:**

هي اتجاه فكري وسياسي يقوم على فصل الدين عن المجال العام (السياسة والتعليم)، مع تبني قيم اليسار مثل المساواة والعدالة الاجتماعية والدفاع عن الفئات الشعبية، ويهدف إلى بناء مجتمع مدني حديث قائم على العقلانية والحقوق.

نتائج الدراسة:

تحول المجتمع من التقليد إلى حالة انتقالية

أظهرت الدراسة أن قرية Plozévet لم تنتقل بشكل كامل إلى الحداثة، بل عرفت حالة **تحول تدريجي وغير مكتمل** .حيث بقيت البنى التقليدية (العائلة، الدين، العلاقات القروية) حاضرة، لكن في الوقت نفسه بدأت تظهر عناصر حديثة مثل التعليم والتقنيات الجديدة. وهذا خلق مجتمعا يعيش بين عالمين: التقليد والحداثة.

صراع واضح بين الأجيال

من أهم النتائج التي توصل إليها موران هو وجود **فجوة جيلية واضحة** داخل المجتمع. فالشباب كانوا أكثر انفتاحا على التغيير والحداثة، بينما كبار السن تمسكوا بالقيم التقليدية وأنماط العيش القديمة. هذا الصراع لم يكن فقط فكريا، بل انعكس في السلوك اليومي والعلاقات الاجتماعية داخل القرية.

انقسام داخلي في البنية الاجتماعية

بينت الدراسة أن الانقسام لم يكن فقط بين فئات اجتماعية مختلفة، بل حتى داخل نفس الفئة مثل الفلاحين. حيث ظهر فلاحون تقليديون محافظون، وفلاحون آخرون أكثر انفتاحا على التحديث والتغيير. وهذا يدل على أن المجتمع لم يعد متجانسا كما كان في السابق.

دخول السياسة إلى الحياة الاجتماعية

لاحظ موران أن السياسة أصبحت جزءا من الحياة اليومية داخل القرية، خاصة من خلال بروز **التيارات اليسارية (السياسة الحمراء)** مقابل التيارات المحافظة. هذا التحول جعل السياسة عاملاً مؤثرا في العلاقات الاجتماعية وليس فقط نشاطًا خارجيا.

تأثير التحديث الزراعي على البنية الاقتصادية

أدى التحديث الزراعي إلى تغير كبير في نمط الإنتاج الفلاحي، من أساليب تقليدية تعتمد على الجهد اليدوي والعائلي إلى أساليب أكثر تقنية. هذا التحول ساهم في تغيير العلاقات الاقتصادية داخل القرية وفتح المجال لارتباطها بالسوق الخارجي.

تغير القيم الاجتماعية تدريجيا

رصد موران بداية تحول في القيم الاجتماعية داخل القرية، مثل بروز الفردية بشكل نسبي، وتراجع بعض أشكال التضامن التقليدي. لكن هذا التغير لم يكن جذريا، بل ظل متوازنا مع استمرار القيم التقليدية في العديد من الجوانب.